الموت اعوانا تقبض الارواح بحكم النيابة عنه ولولا ذلك لتعذر عليه وهو جسم ان يقبض روحين في وقت واحد في المشرق
والمغرب لان الجسم الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد قال اصحابنا ولا يبعد ان يكون للحفظة الكاتبين هم القابضون
للارواح عند انقضاء الاجل قالوا وكيفية القبض ولوج الملك من الفم الى القلب لانه جسم لطيف هوائي لا يتعذر عليه
النفوذ في المخارق الضيقة فيخالط الروح التي هي كالشبيهة به لانها جسم لطيف بخاري ثم يخرج من حيث دخل وهي معه
وانما يكون ذلك في الوقت الذي يأذن الله تعالى له فيه وهو حضور الاجل فالزموا على ذلك ان يغوص الملك في الماء
مع الغريق ليقبض روحه تحت الماء فالتزموا ذلك وقالوا ليس يستحيل ان يتخلل الملك الماء في مسام الماء فان فيه مسام
ومنافذ وفي كل جسم على قاعدتهم في اثبات المسام في الاجسام قالوا ولو فرضنا انه لا مسام فيه لم يبعد ان يلجه الملك
فيوسع لنفسه مكانا كما يلجه الحجر والسمك وغيرهما وكالريح الشديدة التي تقرع ظاهر البحر فتقعره وتحفره وقوة الملك
اشد من قوة الريح ثم نعود الى الشرح فنقول الملك اصله مالك بالهمز ووزنه مفعل والميم زائدة لانه من الالوكة والالوك
وهي الرسالة ثم قلبت الكلمة وقدمت اللام فقيل ملاك قال الشاعر فلست لانسي ولكن لملاك ٭ تنزل من جو السماء
يصوب ٭ ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمع ردت الهمزة اليه فقالوا ملائكة وملائك قال امية بن ابي
الصلت فكان برقع والملائك حولها والتوفي الاماتة وقبض الارواح قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتقسيم
الذي قسمه في وفاة الجنين حاصر لانه مع فرضنا اياه جسما يقبض الارواح التي في الاجسام اما ان يكون مع الجنين في جوف
امه فيقبض روحه عند حضور اجله او خارجا عنها والقسم الثاني ينقسم قسمين احدهما ان يلج جوف امه لقبض روحه فيقبضها
والثاني ان يقبضها من غير حاجة الى الولوج الى جوفها وذلك بان يطيعه الروح وتكون مسخرة له اذا اراد قبضها
اليه فقبضها وهذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها ولو قسمها واضع المنطق لما زاد ثم خرج الى امر اخر اعظم واشرف مما
ابتدأ به فقال كيف يصف الهه من يعجز عن وصف مخلوق مثله والى هذا الغرض كان يترامى واياه كان يقصد وانما
مهد حديث الملك والجنين توطئة لهذا المعنى الشريف والسر الدقيق وهذا الفن يسميه ارباب علم البيان التخلص
واكثر ما يقع في الشعر كقول ابي نواس تقول التي من بيتها خف مركبي ٭ عزيز علينا ان نراك تسير ٭ اما دون مصر للغنى متطلب
بلى ان اسباب الغنى لكثير ٭ فقلت لها واستعجلتها بوادر ٭ جرت فجرى في جريهن عبير ٭ ذريني اكثر حاسديك برحلة الى بلد
فيه الخصيب امير ٭ ومن ذلك قول ابي تمام يقول في قومس قومي وقد اخذت منا السرى وخطى المهرية القود ٭ امطلع الشمس ر وأخذت منا السرى وخطى المهرية
تبغي ان تؤم بنا ٭ فقلت كلا ولكن مطلع الجود ٭ ومنه قول البحتري هل الشباب ملم بي فراجعه ٭ ايامه لي في اعقاب
ايامي ٭ لو انه نائل غمر يجاد به ٭ اذن تطلبته عند ابن بسطام ٭ ومنه قول المتنبي وهو يتغزل باعرابية يصف جمالها
وحسنها وقلة مطعمها وهذه كلها من الصفات الممدوحة في النساء خاصة ٭ في مقلتي رشا تديرهما ٭ بدوية فتنت
بها الحلل ٭ تشكو المطاعم طول هجرتها ٭ وصدودها ومن الذي تصل ٭ ما اسأرت في العقب من لبن ٭ تركته وهو
المسك والعسل ٭ قالت الا تصحو فقلت لها ٭ اعلمتني ان الهوى ثمل ٭ لو ان فنا خسر صبحكم ٭ وبرزت وحدك عاقه
الغزل ٭ وتفرقت عنكم كتائبه ٭ ان الملاح خوادع قتل ٭ ما كنت فاعلة وضيفكم ٭ ملك الملوك وشانك البخل ٭ اتمنعي
قرى فتفتضحي ٭ ام تبذلين له الذي يسل ٭ بل لا يحل بحيث حل به ٭ بخل ولا جود ولا وجل ٭ وهذا من لطيف التخلص
ورشيقه والتخلص مذهب الشعراء والمتأخرون يستعملونه كثيرا ويتفاخرون فيه ويتناضلون فاما التخلص في
الكلام المنثور فلا يكاد يظهر لمتصفح الرسالة او الخطبة الا بعد تامل شديد وقد وردت منه مواضع في القرآن العزيز
فمن ابينها واظهرها انه تعالى ذكر في سورة الاعراف الامم الخالية والانبياء الماضين من لدن آدم عم الى انتهى الى قصة
موسى فقال في آخرها بعد ان شرحها واوضحها واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي
من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا
اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم

بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف و
ينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وهذا من التخلصات اللطيفة المستحسنة
واعلم ان من انواع علم البيان نوعا يسمى الاستطراد وقد يسمى الالتفات وهو من جنس التخلص وشبيه به الا ان الاستطراد
هو ان تخرج بعد تمهيد ما تريد ان تمهده من الامر الذي تروم ذكره فتذكره وكانك غير قاصد لذكره بالذات بل قد حصل ووقع
ذكره بالعرض عن غير قصد ثم تدعه وتتركه وتعود الى الامر الذي كنت في تمهيده كالمقبل عليه وكالملغي عما استطردت بذكره فمن
ذلك قول البحتري وهو يصف فرسا ٭ واغر في الزمن البهيم محجل ٭ قد رحت منه على اغر محجل ٭ كالهيكل المبني الا انه ٭ في
الحسن جاء كصورة في هيكل ٭ وافي الضلوع يشد عقد حزامه ٭ يوم اللقاء على معم مخول ٭ اخواله للرستميين بفارس
وجدوده للتبعين بموكل ٭ يهوي كما هوت العقاب وقد رات ٭ صيدا وينتصب انتصاب الاجدل ٭ متوجس برقيقتين
كانما ٭ تريان من ورق عليه مكلل ٭ ما ان يعاف قذى ولو اوردته ٭ يوما خلائق حمدويه الاحول ٭ ذنب كما سحب الرشاء
يذب عن ٭ عرف وعرف كالقناع المسبل ٭ جذلان ينفض عذرة في غرة ٭ يقق تسيل حجولها في جندل ٭ كالرائح
النشوان اكثر مشيه ٭ عرضا عن السنن البعيد الاطول ٭ ذهب الاعالي حيث تذهب مقلة ٭ فيه بناظرها حديد الاسفل
هزج الصهيل كان في نغماته ٭ نبرات معبد في الثقيل الاول ٭ ملك القلوب فان بدا اعطيته ٭ نظر المحب الى الحبيب المقبل
الا تراه كيف استطرد بذكر حمدويه الاحول الكاتب وكانه لم يقصد ذلك ولا اراده وانما جرته القافية ثم ترك ذكره وعاد
الى وصف الفرس ولو اقسم انسان انه ما بنى القصيدة منذ افتتحها الا على ذكره ولذلك اتى بها على روي اللام لكان صادقا
فهذا الاستطراد ومن الفرق بينه وبين التخلص انك في التخلص متى شرعت في ذكر الممدوح او المهجو تركت ما كنت فيه من قبل
بالكلية واقبلت على ما تخلصت اليه من المدح او الهجاء بيتا بعد بيت حتى تنقضي القصيدة وفي الاستطراد يمر ذكر الامر الذي
استطردت به مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتنساه وتعود الى ما كنت فيه كانك لم تقصد قصد ذلك وانما عرض عروضا
واذا فهمت الفرق فاعلم ان الآيات التي تلوناها اذا حققت وامعنت النظر من باب الاستطراد لا من باب التخلص وذلك
لانه تعالى قال بعد قوله واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ٭ قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ٭ وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم
وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فعاد الى ما كان فيه اولا ثم مر في هذه القصة وفي احوال موسى وبني اسرائيل حتى قارب الفراغ من السورة ومن لطيف التخلص
الذي يكاد يكون استطرادا لولا انه افسده بالخروج الى المدح قول ابي تمام في قصيدته التي يمدح بها محمد بن الهيثم التي اولها
اسقى طلولهم اجش هزيم ٭ وغدت عليهم نضرة ونعيم ٭ ظلمتك ظالمة البريء ظلوم ٭ والظلم من ذي قدرة مذموم ٭ زعمت
هواك عفا الغداة كما عفت ٭ منها طلول باللوى ورسوم ٭ لا والذي هو عالم ان النوى ٭ صبر وان ابا الحسين كريم ٭ ما
حلت عما تعهدين ولا غدت ٭ نفسي على الف سواك تحوم ٭ فلو انه متغزل لكان مستطردا لا محالة لكنه نقض الاستطراد
وتممه في المدح فقال بعد هذا البيت لمحمد بن الهيثم بن شبانة ٭ مجد الى جنب السماك مقيم ٭ ملك اذا انتسب الندى من
ملتقى ٭ طرفيه فهو اخ له وحميم ٭ ومضى على ذلك الى آخرها ومن الاستطراد ان يجتاز الشاعر لذكر ما يروم ذكره بوصف
امر ليس من غرضه ويبلغ الغرض الاصلي في ضمن ذلك وفي غضونه واحسن ما يكون ذلك اذا صرح بانه قد استطرد ونص
في شعره على ذلك كما قال ابو اسحق الصابي في ابيات كتبها الى ابي القسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة كتبها
اليه الى شيراز وابو اسحق ببغداد وكانت اخبار فتوح عضد الدولة بفارس وكرمان وما والاهما متواصلة مترادفة الى
العراق وكتب عبد العزيز واصلة بها الى عز الدولة بختيار والصابي يجيب عنها ٭ يا راكب الجسرة العيرانة الاجد ٭ يطوي المهامه من

Copyright ... University